دراسة نقدية
فى نص شعرى للشَّنْفَرَى الأزدى

للأستاذ الدكتور
على محمد طلب
أستاد الأدب والنقد
وعميد كلية اللغة العربية بأسيوط

التعريف بالشاعر وشعره(١):

هو الشّنفرى من بنى الأواس بن الحجْر بن الهنء بن الأزد ابن الغوث ، ونشأ فى منطقة السراة ، وهى منطقة جبلية بين مكة والمدينة ، والشّنفرى اسمه ، وقيل لقب له ومعناه عظيم الشفة ، وهو ابن أخت (تابط شرا) ، وكان أحد العدائين الثلاثة: هو وتأبط شرا وعمرو بن براق ، وكان أحدهم يعدو مسرعا ،

---

(١) انظر فى التعريف بالشاعر : الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١٦٢/٢١ وما بعدها ، والمفضليات للمفضل الضبى تحقيق الأستاذين / أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، صـ ١٠٨ ط دار المعارف بالقاهرة ، ومهذب الأغانى للشيخ محمد الخضرى ٩٥/١ وما بعدها ط مصر بالقاهرة ، والشنفرى الصعلوك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، صـ ١٠ وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٩م ، وشعر الصعاليك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، صـ ١١٠ وما بعدها ط الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٩م ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١٠٥/١ وما بعدها ط دار المعارف بالقاهرة ، ووقفات من رياض الأدب الجاهلى للدكتور / أحمد محمد منصور حفنى ، صـ ٨٤ وما بعدها وغير ذلك من الكتب

فتنطلق وراءه الخيل فلا تلحق به ، وضُرب المثل به في العدو فقيل : (أعدى من الشّنفرى) ، وأُخذ الشّنفرى أسيرا في بني سلامان بن مفرج وهو غلام صغير ، فنشأ فيهم ، وذلك أن قبيلته بني الأواس بن الحجْر من الأزد دخلت في قتال مع بني شبابة بن فهم فقُتل أبوه وأُسر الشّنفرى ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان رجلاً من بني شبابه بن فهم ، ففدته بنو شبابة بالشّنفرى ، وكان في بني سلامان لا تحسبه إلا واحدا منهم ، وعلى ذلك فقد نشأ الشّنفرى في حجر الرجل السلاماني ، وهو يعتقد أنه أبوه ، وكان للسلاماني ابنة تسمى (قعسوس) تعرف حقيقة الشّنفرى ولا تنكر عليه حينما يناديها بأخته ، لأن أباها كان يوصيها خيرا به ، لما يلحظه عليه من أمارات الرجولة المبكرة ، والفتوة والبطولة منذ فجر الشباب ، إلى أن كان يوم خرج فيه (أبو قعسوس) بعيدا عن الديار ، تاركا إياهما في المرعى ، فطلب الشّنفرى منها أن تغسل له رأسه ، فعدّت ذلك إهانة لا تغتفر ، ولطمته على وجهه ، وأغلظت له في القول ، وعيرته برقّه وعبوديته لأبيها ، فثارت ثائرة الشنفرى ، وأصرّ على أن يفاتح أباها في شأن نسبه ، وعرف من أبيها أنه ينتمي إلى بني الأواس بن الحجْر ، فقال الشّنفرى يفتخر بقومه ويستجمع مشاعر السيادة والعزة التي تمتلئ بها نفسه :

ألا ليت شعري والأماني ضلة ... بما ضربت كفّ الفتاة هجينها

وقد علمت قعسوس أنساب والدى ... ووالدها ظلت تقاصر دونها
أنا ابن خيار الحجْر بيتا ومنصبا ... وأمى ابنة الأحرار لو تعرفينها

ولكن أبا قعسوس كان داهية أريبا فأخذ يهدئ من ثائرة الشّنفرى ويستل سهام غضبه ويروّح عنه قائلا : لا عليك يا بنى ، فقد كنت أريد أن أزوجها لك ، قال الشّنفرى وقد سكنت أضغانه وهدأت ثائرته فى لهفة : وما يمنعك إذن ؟ قال : أخشى أن يقتلنى قومى ، قال الشّنفرى : والله لئن قتلوك لأقتلن مائة رجل فى دمك ، فأطمأن الرجل وعرف أن بجانبه أسدا هصورا، وبطلا قوى المراس ، وزوجّه (قعسوس) فما كان من بنى سلامان إلا أن استقبحوا أن يصهر إليهم دخيل كالشّنفرى ، وبعد زواجه من (قعسوس) قتلوا أباها فعلا ، فأخذ الشّنفرى يعدّ نفسه ليبر بقسمه ، ويصنع النبال لذلك ، وظلت (قعسوس) تلحّ عليه فى الوفاء بقسمه بأن يقتل مائة رجل فى أبيها ، وبعد رحيل الشنفرى عن بنى سلامان كوّن جماعة من الصعاليك ، وجعلوا قصارى همهم السلب والإغارة على بنى سلامان والاحتماء منهم فى فجاج الجبال وكهوفها[1] .

وظلّ الشنفرى يقتل منهم ، إلى أن وصل عدد القتلى تسعة

---

[1] انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـ ٨٦ وما بعدها ، وانظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١٢ وما بعدها .

وتسعين رجلا ، وكان ممن قتل منهم رجل يسمى (حرام بن جابر) قتله بمنى ، وهو قاتل أبيه، وذكر الشّنفرى المكان الذى قتل فيه ، وأشار إلى أخذه بثأره جزاء وفاقا ، وذلك فى التائية المشهورة ، التى ذكرها صاحب المفضليات ، حيث يقول :

فتلنا قتيلا مهديا بملبد ... جمار منى وسْط الحجيج المصوّت
جزينا سلامان بن مفرج قرضها ... بما قدمت أيديهم وأزلت[1]

وفى الحقيقة أن هذه الرواية قد بالغت فى ثأر الشّنفرى لأبى (قعسوس) وأن هذا الأمر لا يصدقه عقل ، ولا يقبله منطق.

ويشير الدكتور / عبد الحليم حفنى فى كتابه عن (الشّنفرى الصعلوك) إلى نهاية الشّنفرى ، فيذكر أنه لما حانت منية الشّنفرى قُدر لأعدائه أن يظفروا به ، فقد ترصد له ثلاثة من أعدائه ذات ليلة هم : خازم اللخمى ، وأسيد بن جابر السلامانى، وابن أخ له لم تسمه الروايات التى روت حادث

---

(١) انظر : المفضليات للمفضل الضبى ، صـ ١٠٨ ، وما بعدها (مهديا : محرما ساق الهدى. بملبد: بمحرم لبد رأسه أى جعل فى رأسه شيئا من العسمغ ليتلبد شعره ، جمار منى : أى عند الجمار ، المصوّت : الملبى ، سلامان بن مفرج : هم الذين أسروه فداء ، ومنهم حرام بن جابر قاتل أبيه . أزلت : قدمتْ) .

مصرع الشّنفرى ، فمر عليهم الشّنفرى فأحس بهم ، وكان لا يحسّ خطرا ولا يرى سوادا إلا رمى بالنبل صوبه ، فأصاب ذراع ابن أخى أسيد إلى عضده ، فلم يتأوه ، واستمر فى سيره حتى أصبح على رأس الرصد ، وكانوا منبطحين على الأرض، فلما دنا منهم طلب أسيد من خازم أن يسلل سيفه ، ولكن الشّنفرى كان إلى سيفه أسرع ، فأهوى به إلى خازم ، ولكنه لم يصب منه غير أصبعين من يده ، وما لبثوا إلا وقد أطبقوا عليه ولكن الشّنفرى استطاع أن يصرع اثنين منهم تحته وهما : خازم وابن أخى أسيد ، وجاء أسيد فنزع سلاح الشّنفرى منه ، وحين استطاع أسيد أن يجرده من سلاحه أصبح فى قبضتهم ، ولكنه لم يستسلم ، وحاول أن يتخلص منهم ، وما لبثوا أن قبضوا على الشّنفرى ، ونقلوه إلى قومهم ، وأرادوا أن يشفوا نفوسهم المتأججة بالنقمة عليه ، فبدأوا بتعذيبه نفسيا وجسديا ، فقالوا له : أنشدنا ، فقال : (إنما النشيد على المسرّة) فذهبت مثلا ، ثم ضربوا يده فأصيبت ، ولم تنفصل عنه ، ثم رماه أحدهم فى عينه ، ثم قالوا : أين نقبرك ؟ فإذا هو يستنكر أن يقبروه ، وهو يعلم إنهم لابد أن يجتزوا رأسه ويفصلوها عن جسده ، لتكون راحة لنفوسهم وشفاء لقلوبهم ، فيقول لهم فيما

يشبه السخرية العميقة : إن ما يبقى بعد رأسه ليس له شأن ولا يستحق الاهتمام به[١]

وذلك فى قوله[٢] :

لا تقبرونى إنّ قبرى محرم ... عليكم ولكن أبشرى أم عامر
إذا حملوا رأسى وفى الرأس أكثرى ... وغودر عند الملتقى ثَمّ سائرى
هنالك لا أرجو حياة تسرنى ... سمير الليالى مُبْسلا بالجرائر[٣]

ثم أجهزوا عليه فقتلوه ...

إلا أنه من العجب العجاب أن يذكر أبو الفرج الأصفهانى فى هذه الراوية والتى مؤداها أنه أقسم ليقتلن مائة رجل ، وأنه قتل قبل موته تسعة وتسعين رجلا ، وأصرّ فى راويته العجيبة أن تكون جمجمة الشنفرى سببا فى قتل أحد رجال بنى سلامان، وبذلك تمت المائة التى أقسم عليها حيث يقول : "فقتلوه وصلبوه ، فلبث عاما أو عامين مصلوبا ، وعليه من نذره رجل، فدخل رجل منهم كان غائبا فمرّ به ، وقد سقط فركض رأسه برجله ، فدخل فيه عظم من رأسه فعلّت عليه فمات منها ، فكان ذلك

---

(١) انظر : الشنفرى الصعلوك للدكتور / عبد الحليم حفنى ، صـ ٧٣ ، وما بعدها .

(٢) الشعر والشعراء لإبن قتيبه ١/٨٠ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٣) أم عامر : كنية الضبع وهى من آكلى الجيف ، الملتقى : مكان الموت ، سمير الليالى : طوال الليل ، مُبْسلا بالجرائر : يعنى مرهونا بالجرائم .

الرجل تمام المائة[١] .

وكان الشّنفرى من الشعراء الصعاليك المجيدين ، بل كان أبرز الصعاليك فى شاعريته وجودة شعره ، ومعظم شعره سجّل فيها حياته فى الصعلكة وما عاناه فيها من متاعب ومصاعب ، كما سجّل فيها صراعه فى الحياة وقتله قاتل أبيه ، فشعره صورة من حياته القلقة غير المستقرة ، وقد أشار العينى فى كتابه (شرح الشواهد الكبرى) أن للشّنفرى ديوانا ، ولكن لم يبق إلى عصرنا هذا منه إلا القليل ، ويكفيه فخرا أن لاميته المشهورة (بلامية العرب) تعدّ من عيون الشعر الجاهلى وقد أكبّ عليها النقاد والأدباء والعلماء فقاموا بشرحها ، لما فيها من معان قيمة ثمينة ، وألفاظ جزلة رصينة ، وتصوير رائع ، فقد شرحها المبرد ، وكان أول من شرح لامية العرب ، ثم شرحها أبو بكر بن دريد ، ثم شرحها بعده أبو على القالى ، ثم شرح بعض أبيات اللامية أبو هلال العسكرى ، ثم شرح بعض أبيات لامية العرب أبو العلاء المعرى ، ثم قام الزمخشرى بشرح لامية العرب فى كتابه المطبوع (أعجب العجب فى شرح لامية العرب) ، ثم شرح اللامية بعده عبد الله بن الحسين العكبرى ،

---

(١) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١٦٤/٢١ .

ثم أعجب ياقوت الحموى فقام بشرح بعض أبيات لامية العرب، ويذكر (بروكلمان) بعض العلماء الذين قاموا بشرح لامية العرب للشّنفرى غير هؤلاء الأعلام ، فذكر منهم : شرح محمد بن القاسم بن زكور المغربى ، ويوجد مخطوط لهذا الشرح فى (برلين) وفى مكتبة الدحداح ، وشرح عطاء الله بن أحمد المصرى ، ويوجد منه مخطوط فى القاهرة ، وشرح يحيى بن عبد الحميد الحلبى ويوجد منه مخطوط فى (الأسكوريال) ، وشرح ثعلب ، وتوجد مخطوطة له فى (الفاتيكان) ، وشرح التبريزى ويوجد منه مخطوط فى (برنستون) وغير ذلك من الشروح .

وهذا يدل على اهتمام العلماء والأدباء والنقاد بلامية العرب للشّنفرى الأزدى ، ويدل على قيمة هذه اللامية ، وعلى صياغتها ، وعلى ما فيها من تصوير بديع ، حاز الرضا والإعجاب لدى سائر النقاد والأدباء .

ويذكر (بروكلمان) أنه قد تم طبع ديوان الشّنفرى فى (الطرائف الأدبية[١]) .

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان [illegible] وما بعدها ، وانظر : الشنفرى الصعلوك ، ص [illegible] وما بعدها .

جو النص :

لقد كان منهج الشّنفرى فى حياته مقاومة الصعاب مهما اشتدت ، وشعره خير دليل على حياته القلقة غير المستقرة ، وقد سجّل الشّنفرى كل جوانب معاناته وكل خلجات نفسه ، كما سجّل صراعه فى الحياة ، وكل ما صوره من قيم ومثل عليا فى قصيدته (لامية العرب) ، وتحدث عن الوحوش فى الصحراء ، وعن الحر والبرد ، وعن النمل والطير ، وعن الجوع والفقر ، وعن الصبر والألم ، وعن أشياء كثيرة ، لا ارتباط بينها لذاتها ، فإذا هو يجعلها شديدة الارتباط ، وكأنها موضوع واحد ، وهو ما يميز شعر الصعاليك ، فكان شعره أشبه (بالمذكرات الشخصية) ، ولقد استطاعت شاعريته الفذّة أن تجعل منها معرضا ضخما متنوعا من اللوحات الأدبية البالغة الروعة والإبداع ، ولا يبدو من حديثه حتى وإن ساق الشعر فخرا ، أنه يقصد الفخر لذاته ، وإنما يسوق آلاما يراها الناس فخرا ، ويتحدث عن حياة لم يألفها الناس ، فيرى الناس فى ذلك موضعا للفخر وما يشبه الفخر ، وكل ذلك جعل المجتمع الجاهلى يزيد للصعاليك إكبارا وإعجابا واهتماما ، فهو فى شعره يعبر عن الأنفة وإباء الضيم والنفور من الذل ، ويصور الخلق الإجتماعى ، وما انفرد به من وصف عفة المرأة وغضّها من بصرها وصونها والحفاظ عليها ، وكل هذه

الأخلاق إنما يحبها العربى ويحرص عليها .

إذن فموضوع القصيدة نوع من (السيرة الذاتية) أو (المذكرات الشخصية) وقد سجّل فيها الشاعر حياته فى الصعلكة ، وما عاناه فيها من مصاعب ومتاعب لا حصر لها[1]، وفيها الأنفة والإباء والحفاظ على الكرامة والبعد عن الدنايا ، وإكبار النفس ووضعها فى مكانها الصحيح .

النص :

يقول الشّنفرى من قصيدة (لامية العرب) مفتخرا بإعتزازه بنفسه ومصورا معاناته فى حياته :

١. أقيموا بنى أمى صدور مطيكم ... فإنى إلى قوم سواكم لأميل
٢. فقد حُمت الحاجات والليل مقمر ... وشُدت لطيات مطايا وأرحل
٣. وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القِلى متعزل
٤. لعمرك ما فى الأرض ضيق على إمرئ ... سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل
٥. ولى دونكم أهلون سِيدٌ عملس ... وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
٦. وإن مُدت الأيدى إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
٧. وما ذاك إلا بسطة عن تفضل ... عليهم وكان الأفضل المتفضل
٨. ولست بمهياف يعشّى سوامه ... مجدعة سقبانها وهى بهّل
٩. أديم مطال الجوع حتى أميته ... وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
١٠. واستف ترب الأرض كيلا يرى له ... علىّ من الطَوْل أمرؤ متطول
١١. ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب ... يُعاش به إلا لدىّ ومأكل
١٢. ولكن نفسا مُرة لا تقيم بى ... على الذأم إلا ريثما أتحول
١٣. وأطوى على الخمص الحواياكما انطوت ... خيوطة مارى تغار وتفتل

---

[1] انظر : الشنفرى الصعلوك (حياته ولاميته) ، صـ ٣٩ وما بعدها .

١٤- وأغدو على القوت الزهيد كما غدا ... أزلّ تهـــاداه التنـائف أطحـــل
١٥- وتشرب أسآرى القطا الكدر بعدما ... سرت قربـا أحناؤهـا تتصلصل
١٦- هممتُ وهمتْ وابتدرنا وأسدلت ... وشمـــر منى فـــارط متمهـــل
١٧- فوليت عنها وهى تكبو لعقره ... يباشره منها ذقـــون وحوصـــل
١٨- وألف وجه الأرض عند افتراشها ... بأهـــدأ تنبيه سنـــاسن قحّـــل
١٩- وأعدل منحوضاص كأن فصوصه ... كعاب دحاهـــا لاعـــب فهى مُثّل
٢٠- فإن تبتئس بالشّنفرى أم قسطل ... لما اغتبطت بالشّنفرى قبل أطول
٢١- طريد جنايات تياسرن لحمه ... عقيرتـــه لأيهـــأ حُـــمّ أول
٢٢- تنام إذا مـا نـام يقظى عيونها ... حثاثـــأ إلى مكروهـــه تتغلغـل
٢٣- وإلف همـوم مـا تـزال تعـوده ... عيادا كحمى الربـــع أو هى أثقـل
٢٤- فإما ترينى كابنة الرمل ضاحيا ... على رقـــة أحفـــى ولا أتنعـــل
٢٥- فإنى لولى الصبر أجتاب بزه ... على مثل قلب السّمع والحزم أنعل
٢٦- وأعدم أحيانـا وأغنـى وإنمـا ... ينال الغنى ذو البُعـــدة المتبـذل
٢٧- فلا جزع من خلـة متكشف ... ولا مـــرح تحت الغنى أتخيـــل
٢٨- وليلة نحس يصطلى القوس ربهـا ... وأقطعه اللاتـــى بهـا يتنبـل
٢٩- فأيمت نسوانـا وأيتمت إلـــدة ... وعدت كمـــأ أبدأت والليل أليـــل[1]

شرح المفردات :

١ ــ **المطىّ** : المطايا ويقصـد بـها الإبـل ، **وإقامـة صدورهـا** : كناية عن الإستعداد للرحيـل .

٢ ــ **حُمت** : بالبناء للمجهول : تهيأت ، **مقمـر** : مضـئ بـالقمر ، **طيات** : حاجات مطلوبة فى النفـس مخبـأة ، **أرحـل** : جمـع رحل ، وهو ما يوضع فيه المتاع فـوق الراحلـة .

---

(١) أعجب العجب فى شرح لامية العرب للإمام الزمخشرى ، صـ ٦ ، وما بعدها ، ط١ ، طبعـة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠٠ هـ .

٣ ــ **المنأى** : مكان النأى وهو البعد ، **الكريم** : ذو الكرامة والخلق الأصيل ، **الأذى** : يعنى الذل والهوان ، **القِلى** : الترك والنبذ عن بغض وكراهية ، **المتعزل** : بصيغة اسم المفعول مكان العزلة .

٤ ــ **لعمرك** : أسلوب قسم يحلف به ، **السُّرى** : السير فى الليل خاصة ، **راهبا** : من الرهبة وهى الخوف .

٥ ــ **السِّيد** : بكسر السين المشددة : الذئب وقد يسمى به الأسد، **العملس** : بفتح العين والميم واللام المشددة : القوى السريع، **الأرقط** : النمر ، **الزهلول** : الأملس ، **العرفاء** : طويلة العنق ، **الجيأل** : بفتح الجيم وسكون الياء : الضبع وأصله جيأل عرفاء ، فقدمت الصفة على الموصوف .

٦ ــ **الجشع** : النهم وشدة الحرص والإستزادة .

٧ ــ **البسطة** : السعة ، **والتفضل** : إسداء الفضل إلى الغير .

٨ ــ **المهياف** : الشخص التافه الذى لا يحسن تدبير شئ ، **السوام** : الماشية التى ترعى ، **مجدعة** : سيئة الغذاء ، **السقبان** : جمع سقب وهو الذكر الصغير من ولد الناقة ، **بُهَّل** : بفتح الهاء المشددة جمع باهل وهى الناقة بدون راع يرعاها .

٩ ـ **أديم** : من المدوامة والاستمرار ، **المطال** : من المماطلة ، ضرب عن الشئ ، **صفحا** : أعرض عنه ، **الذهول عن الشئ** : تركه ونسيانه .

١٠ ـ **استف الشئ** : تناوله يابسا غير معجون ، **الطَوْل** : بفتح الطاء ، **المنّ** : المتطول بصيغة اسم المفعول : النعمة التى يمن بها صاحبها على المنعم عليه .

١١ ـ **الذأم والذام** : بمعنى واحد وهو العيب ، **ألفاه** : وجده .

١٢ ـ **مُرة** : أبية صعبة ، **الذأم** : العيب الذى يذم به ، **الريث** : الوقت اليسير .

١٣ ـ **الخمص** : بفتح الخاء وهو الجوع ، **المخمصة** : المجاعة، **الحوايا** : جمع حوية وهى الأمعاء ، **الخيوطة** : الخيوط ، **مارى** : قيل اسم لرجل مشهور بصناعة الحبال وفتلها ، **تُغار** : يحكم فتلها .

١٤ ـ **القوت** : الطعام اليسير الذى يقتات به ، **الزهيد** : القليل ، **أذلّ** : صفة للذئب القليل اللحم فى فخذيه وعجزه كناية عن جوعه ، **تهاداه** : تتناقله ، **التنائف** : جمع تنوفة وهى المفازة فى الصحراء ، يعنى أنه كلما خرج من مفازة دخل فى أخرى ، **أطحل** : لونه بين الغبرة والبياض .

١٥ ــ **الأسآر** : جمع سؤر وهو بقية الشراب ، **القطا** : نوع من الطير صغير الحجم ، **الكدر** : يعنى اللون بين السواد والبياض ، **السُّرى** : السير فى الليل ، **القَرَب** : بفتح القاف والراء : السير مسافة ليلة ، **الأحناء** : جمع حِنو بكسر الحاء : وهو الجانب ، **تتصلصل** : يصدر منها صوت معين نتيجة للعطش الشديد .

١٦ ــ **همت** : التاء فيها تعود على القطا ، يعنى استعد كل منّا للسباق إلى الماء ، **ابتدرنا** : يعنى سباق كل منّا الآخر ، **الإسدال** : إرخاء الثوب إلى الأرض ، والمراد : أرخت القطا أجنحتها ، وهذا يكون عندما يبلغ الطير أقصى سرعته فى الطيران ، **شمّر** : استعد للجد ، **الفارط** : المتقدم ، **متمهل** : يعدو على مهل يعنى أنه لم يستخدم كل سرعته فى العدْو ، ومع ذلك سبق القطا .

١٧ ــ **تكبو** : تسقط إلى أمام ومنه المثل المعروف (لكل جواد كبوة) ، **العقر** : بفتح العين وسكون القاف : مكان الساقى من الحوض ، والضمير فى يباشره للحوض ، والضمير فى (منها) للقطا ، **الذقن** : ما تحت حلقومها وحلوقها .

١٨ ــ **آلف** : من الإلف وهو التعود ، **الأهدأ** : يعنى ظهره ، **تنبيه** : ترفعه ، **السناسن** : بمعنى السلاسل ، والمراد

فقار الظهر وهى المعروفة بالعمود الفقـــرى ، **قحّـل** : جمـــع قاحل وهو اليابس الجـــاف .

١٩ ــ **أعدل** : أتوسد ، **المنحوض** : الـــذى ذهـــب لحمـــه ، وفعلـــه نُحض بالبناء للمجهول ، يعنى بـــالمنحوض ذراعـــه ، ويعنـــى بالتوسد أنـــه يتخـــذ ذراعـــه وســـادة ، **فصوصـــه** : مفـــاصل عظامه ، أى عظام ذراعـــه ، **الكِعـــاب** : مـــا بيـــن الأنبوبيـــن من القصب . ولكنه يعنى نوعا كانوا يلعبـــون بـــه ، **دحاهـــا** : بسطها وسواها ، وهى الكعوب ، **مُثّل** : جمـــع مـــاثل وماثلـــة : أى منتصبـــة .

٢٠ ــ **تبتئس** : تحـــزن مـــن البـــؤس ، **القســـطل** : الغبـــار ، وأم قسطل كنية الحرب لأنها تثـــير الغبـــار ، **اغتطبـــت** : فرحـــت ، وابتئاس الحرب به معناه حرمانها منـــه أى مـــن مشـــاركته فيها .

٢١ ــ **طريد** : أى مطرود يعنـــى يطـــارده أعـــداؤه ، **الجنايـــات** : جمع جناية وهـــى التـــى جناهـــا بصفـــة خاصـــة ، **تياســـرن لحمه** : تقاسمن لحمه عن طريق ســـهام الميســـر ، **عقيرتـــه** : جثته وأصلها للناقة المعقورة أى المذبوحـــة ، **حُـــمّ** : نـــزل ، ومنه حُمّ القضاء أى نزل ، والمراد نزول المـــوت بـــه .

٢٢ ــ **تنام** : يعنى الجنايات ، **نـــام** : المـــراد نفســـه ، **يقظـــى** : أى

عيونها متيقظة ، **حثاثا** : سراعا ، **مكروهه** : يعنى موته ، **تتغلغل** : تتوغل وتتعمق .

٢٣ ــ **الإلف** : بكسر الهمزة أى التعود ، **تعوده عيادا** : العيادة هى زيارة المريض ، **حمى الربع** : بكسر الراء وسكون الباء : نوع من الحمى يصيب صاحبه يوما ويتركه يومين وهكذا ، وتسمى الحمى الراجعة أو المتقطعة .

٢٤ ــ **ابنة الرمل** : الحية الرقطاء ، **ضاحيا** : أى بارزا ، يقال ضحيت للشمس : تعرضت لها وهو المراد ، **على رقة** : يعنى رقة الحال وهى الفقر ، **أحفى** : أمشى حافيا بدون نعل.

٢٥ ــ **موالى الصبر** : صاحبه ومالكه الذى يتحكم فيه ، ويعنى بالصبر : الشجاعة وقوة الإرادة ، **أجناب** : ألبس ، **البزّ** : الفاخر من الثياب ، والضمير فى (بزه) للصبر ، **السّمع** : بكسر السين وسكون الميم : ولد الذئب من الضبع ، **أنعل** : اتخذه نعلا ، يعنى أنه يتحكم فى الحزم كأنه نعل فى قدميه .

٢٦ ــ **العَدَم** : بفتح العين والدال ، أو ضم العين وسكون الدال: الفقر ، **البُعدة** : بضم الباء وكسرها : اسم للبعد بمعنى بعد الهمة ، والمراد سعة الآمال وكثرة المطامع فى السعى

وراء المال ، **المتبذل** : الذى يبذل كرامتـــه ولا يصونـــها .

٢٧ ــ **الجزع** : عدم الصبر عند المكروه ، **الخلـــة** : بفتـــح الخـــاء : الفقر والحاجة ، **المتكشـــف** : الـــذى يظـــهر فقـــره وحاجتـــه للناس ، **المرح** : المبالغة فى الرضا عن النفـــس إلـــى درجـــة الغرور ، **أتخيل** : مـــن الخيـــلاء وهـــى التكـــبر والإعجـــاب الشديد بـــالنفس .

٢٨ ــ **وليلة** : مجرور بمحذوف على تقديـــر ورب ليلـــة ، **نحـــس** : بـــرد شـــديد ، وفـــى القـــرآن الكريـــم (فـــى يـــوم نحـــس مستمر)[١] بمعنـــى شـــديد الـــبرودة ، **يصطلـــى** : يســـتدفئ ، **ربـــها** : صاحبـــها، **يصطلـــى القـــوس** : المـــراد يحطمـــها ليستدفئ بها ، **الأقطع** : جمـــع قِطـــع بكســـر القـــاف ، وهـــو نصل السهم ، **ينتبل** : يتخذ منها النبل ، للرمـــى بالســـهام .

٢٩ ــ **الأيم** : مَنْ لا زوج لها من النســـاء ، وكذلـــك مـــن الرجـــال مَنْ لا إمراة له ، **وأيمت المـــرأة** : جعلتـــها تفقـــد زوجـــها ، **أيتمت** : جعلتهم يتامى بفقد آبائـــهم ، **إلـــدة** : أولاد ، **أبـــدأت** : بدأت ، **أليـــل** : شديد الظـــلام[٢] .

---

[١] سورة القمر ، الآية ١٩ .

[٢] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـــ ١١٦ ، وما بعدها ، وانظر :شعر الصعاليك للدكتور / عبد=

الأفكار التى يدور حولها النص

١ ــ الإسراع بالرحيل لأن فى الأرض متسعا للجميع .

٢ ــ إلتجاء الشّنفرى إلى عالم الوحوش .

٣ ــ تمسك الشاعر بالأخلاق الكريمة .

٤ ــ معاناة الشّنفرى فى حياة الصعلكة .

٥ ــ صعوبة الحياة مع الجوع والعطش والبرد والمطاردة والهموم .

٦ ــ تقلب الحال بالشاعر من الفقر إلى الغنى .

٧ــ من شيم الشاعر : الحزم والعزم والحفاظ على الكرامة.

المعنى العام :

لقد وضّح الشّنفرى خواطره وأحداث حياته منذ فكر فى الصعلكة ، ففى مطلع القصيدة (المسماة بلامية العرب) يبين أنه كره حياة الناس ، وأخذ يفكر فى الرحيل عنهم إلى مجتمع الوحوش الضارية فى الصحراء المقفرة ، وأنه صمم وعزم على ذلك ، وأنهم يتهمونه بالتسرع والانفعال ، فيقول لهم : إنى لم أصدر هذا عن إنفعال وقتى ، وإنما فكرت فيه على مهل ، وفى ضوء القمر لا فى صخب النهار ، وما قد ينتج عنه من ثورة وإنفعال ، ولا فى ظلام الليل وما قد ينشأ عنه من مخاوف

=الحليم حمى ، ص ١٧٤ ، وما بعدها ط الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

وأوهام ، وكل كريم النفس يجد فى الأرض الواسعة مكانا يبعده عن الذل والهوان ، بل يُقْسم بأن الأرض لا تضيق بأى إنسان يرحل فيها ، سواء أكانت له آمال يرغب فى تحقيقها أم كان خائفا يريد أن يبتعد عن مصدر خوفه ، ثم استطرد بعد ذلك يبين مَنْ هم هؤلاء الأهل الذين سيرحل إليهم ؟ إنهم الوحوش الضارية حيث يسكن ويأنس إلى الذئب والنمر والضبع وغيرها من الوحوش .

ثم تحدث عن أخلاقه وهو أنه قنوع عفّ ، وأنه حين يكون مع آخرين على الطعام ، فإنه يلتزم بالآداب الفاضلة ، وألا يتعجل فى مدّ يده إلى الطعام قبل غيره ، وينفى أن يكون تأخره فى مدّ يده إلى الطعام سببه أى شئ ، غير أنه يريد أن يكون صاحب فضل على الآكلين معه ، ويسوق فى هذا حكمة مؤداها أن الذى يتفضل على الناس يكون دائما أفضلهم .

ثم يتحدث عن نفسه فيقول : لست من التافهين الذين يعود الواحد منهم بماشيته وأولادها جياع ، ولا من المهملين الذين يتركون ماشيتهم فى المرعى دون إشراف عليها أو توجيه لها .

ويتحدث عن معاناته الدائمة مع الجوع ، فمن شأن الصعلوك مقاومة الجوع ، فهو يصور الجوع فى صورة دائن يطالب بالوفاء بدَيْنه ، فأخذ الشاعر يماطله ، واستمر فى

الممطالة ، حتى يئس الجوع وانصرف ، ولم يعد فكأنه مات ، ونرى العزيمة في مغالبة الجوع ، فإذا غلبه الجوع واشتد ، فإنه يستف التراب سفًا ، فهذا أهون عنده من الالتجاء إلى أى إنسان ليعطيه الطعام ، ولولا حرصه على كرامته وعزة نفسه لوجد كل أنواع المتعة ، ومثله في شاعريته وشجاعته يمكن أن يتنافس ذوو الشأن على إصطناعه وإستعباده بعطائهم وصلتهم ، وهو يعلم ذلك جيدا ، ولكنه ينفر منه ، ونراه يتحدث عن أمعائه في خلوها من الطعام ، وتعودها الجوع والحرمان حتى يبست وصارت صلبة دقيقة يلتف بعضها حول بعض ، كأنها الحبال الشديدة الفتل ، ومن ثَمّ فالصعلوك لا يدخر طعاما لأنه لا يستطيع أن يستقر في مكان واحد ، ولا يحمل معه طعاما يثقله، وهو لابد أن يكون مهيأ للهروب والتنقل دائما ، فهو مثل الوحش يبحث عن طعامة مرة فمرة ، أما عن الشرب فقد سبق القطا وشرب قبله ، وترك له سؤره ، وهذا يتضمن أنه أسرع من القطا ، على الرغم من أن القطا كان شديد العطش ، ولم يستخدم الشاعر كل سرعته ، ومع ذلك سبق القطا ، فهو يصف المباراة بينه وبين القطا ، ويصف تفوقه في ذلك ، وبعد أن شرب رجع عن القطا وهى تنزل إلى صدر الحوض الذى فيه الماء ، وصدر الحوض يباشر ذقون القطا وحواصلها .

ويتحدث بعد ذلك عن معاناته للنوم لأن جسمه لا يستريح ، ولا يستقر حتى يضعه على الأرض ، وهذا بسبب نحافته الشديدة ، فيصور لنا أنه حين ينام على ظهره لا يستقر ولا يستريح لأن فقار ظهره (العمود الفقرى) بارزة ، فهى التى تصل إلى الأرض ، وتجعل بقية جسمه مرتفعا لا يصل إلى الأرض ، وحين يتعبه هذا الوضع ينقلب على جنبه ، فيضع ذراعه كالوسادة تحت رأسه ، فإذا ذراعه قطع عظم جافة صلبه، لا يستطيع أن يستقر فى نومه فوقها ، وهو مطبوع على حب الصراع والمجازفة والجرأة ، فيسعده أن يزاول هذه الهواية فى الحروب ، ولكن عزلته فى حياة الصعلكة تحرمه من هذه المتعة ، فيشعر نتيجة لذلك بالهم والابتئاس والاكتئاب ، وبدلا من أن يقول : إننى مبتئس لحرمانى من المشاركة فى الحروب، يقول : إن الحرب هى التى تشعر بالابتئاس لحرمانها منى .

ولا يترك الشعور بالمطاردة ، وهو بحكم عمله فى السلب والنهب والسطو والثارات التى عليه ، فلابد أن تكون القبيلة كلها معادية له أشدّ العداء ، متربصة به أشد التربص ، فهو طريد جنايات يتنافسون على أيهم يناله ، ويتمكن منه أولا عندما ينزل به الموت ، ومن متاعب الشّنفرى ومعاناته فى حياة

الصعلكة : العرى والحفاء ، فهو يتخيل إمرأة يخاطبها مشعرا إياها بقيمته الحقيقية ، طالبا منها ألا تغتر بمظهره السيئ من عريه وحفائه ، وما ذكره قبل ذلك من الجوع وغيره ، وكأنه يقول لها : إن الإنسان لا يقاس بمظهره ، ولكن بجوهره ، فإذا كان مظهره سيئا هيّنا فهو يحمل ما يعتز به من الشجاعة وقوة الإرادة والحزم ، ومن معاناة الشاعر تقلب الأحوال المعيشية ، فهو أحيانا يكون غنيا ، ولكن فى أحيان أخرى يكون معدما ومع ذلك كله لا يتغير فهو ثابت الخُلق ، لا يتقلب مهما تقلبت أحواله، فإذا كان فى فقر فلا يجزع منه ، بل لا يطلع أحدا على فقره ، فيظل مستورا غير متكشف ، وكأنه لا يعانى فقرا ، وإذا كان فى غنى يظل أيضا ثابت الخُلق لا يتغير ، ولا يشعر بخيلاء أو غرور ، أو إعجاب بالنفس والغنى ، فأحواله تتغير ، ولكنه لا يتغير ، بل يظل كما هو ثابتا معتدلا .

ومن معاناة الشاعر فى مناخ الصحراء ، أنه لا يجد ما يتقى به البرد أو الحرّ فلا غطاء ولا فراش لمثله فى البرد ، ولا مقر أو مأوى يأوى إليه فى الحرّ ، بل ليس على جسمه ملبس يقيه قشعريرة البرد أو لسعة الحرّ ، ورب ليلة بلغت من شدة بردها أن يحطم صاحب القوس قوسه ، ونصال سهامة ليستدفئ بها ، حيث يشعل النار فيها ، ومعنى ذلك أنه يعرض نفسه لفتك

الأعداء به ، وعلى الرغم من ذلك البرد القارس القاتل ، وعلى الرغم من الظلام والمطر ، وعلى الرغم من الجوع والارتعاش، فقد نفذ غارة على أعدائه ، وقتل رجالا أصبحت زوجاتهم أرامل وأصبح أولادهم يتامى ، ورجع من الغارة في جنح الليل المظلم[١]

دراسة وتحليل ونقد :

١ ـ صاحب هذا النص هو الشّنفرى الأزدى ، وهو أحد الصعاليك الشجعان الأقوياء الأشداء ، وكان أحد العدائين الثلاثة: هو وتأبط شرا وعمرو بن براق ، وكان أحدهم يعدو مسرعا فتنطلق وراءه الخيل فلا تلحق به ، ومن هنا ضُرب به المثل في العدو فقيل (أعدى من الشّنفرى) ، وكان هؤلاء الصعاليك فقراء نشأوا في بيئة حرمتهم متع الحياة فهم منبوذون من مجتمعهم ، محتقرون من عشائرهم ، فذاقوا كأس الذل وتجرعوا مرارة الحرمان والهوان ، فراحوا يثأرون لأنفسهم ويأخذون حقوقهم المسلوبة ـ في نظرهم ـ من الأغنياء البخلاء قسرا واغتصابا ، وتعجب من هؤلاء القوم أنهم يتقاسمون ما يغنمون من السطو على أموال الموسرين الأشحاء

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك (حياته ولاميته) ، صـ ١١٦ ، وما بعدها .

، وكأن الحرمان والذل ألّف بينهم ، وعلمهم التعاطف والتراحم فيما بينهم ، وكان زعيمهم (عروة بن الورد) المسمى (عروة الصعاليك) قد أوى العاجزين عن الكسب ، ووضعهم تحت رعايته ، وضمهم إلى كنفه وحماه وأسبغ عليهم الخير ، وشملهم بعطفه وحبه[١] .

والشّنفرى صاحب لامية العرب ، التى عُرفت بجزالة ألفاظها ، وقوة معانيها ، ودقة تصويرها وتعبيرها ، "والتى فتنت المستشرقين فأولعوا بها وبترجمتها ، حتى تُرجمت إلى نحو خمس لغات أجنبية ، والتى حظيت منذ القديم بإعجاب الأدباء والنقاد ، حتى أفرد الزمخشرى لها كتابا لشرحها هو (أعجب العجب فى شرح لامية العرب) ، ويجعل بعض الباحثين شعره فى المرتبة الأولى من حيث التمثيل والتصوير"[٢].

٢ ـ يتمثل فى هذا النص بعض خصائص شعر الشّنفرى ، فهو يتميز بالألفاظ الجزلة التى تحتاج إلى كتب المعاجم للكشف

---

[١] انظر : دراسات فى الأدب الجاهلى للمؤلف الدكتور / على محمد طلب ، صـ ١٧٧ ، وما بعدها ط مرة الخير بأسيوط .

[٢] [illegible]

عنها، مما أتعب علماء اللغة في شرحها ، وذلك راجع إلى عزلته في الصحراء ، وعدم الإتصال بالآخرين ، وحياة الشّنفرى كسائر الصعاليك حياة في بيئة بالغة القسوة والمعاناة والحرمان ، والتعرض للمخاطر العديدة المتنوعة.

ولامية الشّنفرى تحفل بهذه الألفاظ الممتازة الثمينة ، من حيث إشعاعها وإيحاؤها الأدبي ، حتى لا يكاد يخلو عنصر أو معنى من بعض هذه الألفاظ ، وقد يُلتمس بعض العذر لمن يصعب عليه التذوق الكامل لهذا المستوى من الألفاظ ، فإن التذوق الكامل لهذه الألفاظ لابدّ له من الإدراك الواسع ليس لمجرد مدلول اللفظ فحسب ، وإنما لاشتقاقاته اللغوية في كثير من الأحيان ، ونحن نجد في كل ألفاظ اللامية أو معظمها فيضا زاخرا من الإيحاء والإشعاع الأدبي .

والألفاظ الجزلة القوية مثل : (حُسْت ـ متعزل ـ راغبا ـ راهبا ـ عملس ـ أرقط ـ زهلول ـ عرفاء ـ جيأل ـ بمهياف ـ مجدعة ـ سقبانيا ـ بُسّهل ـ استف ـ الذأم ـ الخمص ـ الحوايا ـ تغار ـ التنائف ـ أطحل ـ أسآري ـ تتصلصل ـ فارط ـ لعقرد ـ وألف ـ سناسن ـ قُحّل ـ منحوضا ـ قصوصه ـ كِعاب ـ قسطل ـ عقيرته ـ حِثاثا ـ الربع ـ أجتاب ـ بزد ـ السّمع ـ البعدة ـ نحس ـ يتنبل ـ

أيمت ــ إلدة ــ أليــل) .

أما الألفاظ الموحية فــى هــذه الأبيــات كلفــظ (واســتف) فإنــه يوحى بأن استفاف التراب فى ســرعة خــير مــن المــنّ والإذلال ، ولو كانت العبارة (آكل تــراب الأرض) لمــا دعانــا إلــى الوقــوف عنده ، فإن الأكل يعنى أنه يسير علــى شــئ مــألوف فــى تتــاول المأكول ، ولكن التعبير بالسفّ يفهم منــه أنه أكــل غــير عــادى ، قد يوحى بالسرعة أو النهم أو الإكثار أو نحــو ذلــك ، وكــل هــذا مقبول عند الشّنفرى ما دام يجنبه الذلّ والــهوان ، ولكــن الشّــنفرى يضيف إلى اللفظ حرفا يملأه إثارة للمشاعر والعواطــف وهــو تــاء الإفتعال فى (واستف) فهذه التاء تملأ الموقــف شــعورا بمــا يفعلــه الشّنفرى ، وما يعانيه فى أكل التراب ولــو تخيــلا ، وأنــه مســتعد ليس لمجرد أكل التراب أكلا عاديا رفيقــا فحســب ، وإنمــا ليســفه سفًا ، بل ليستفه استفافا ، وأنعــمْ النظــر طويلا كــى تــدرك هــذه المعانى الفياضة فى قولــه :

واستف ترب الأرض كيلا يــرى لــه علىّ من الطوْل أمــرؤ متطــول

ومن هذه الألفاظ الموحية (آلــف) مــن قولــه : (وآلــف وجــه الأرض عند إفتراشها) ، فإن هذا اللفظ يوحى بأنــه إعتــاد إفــتراش الأرض وألفه ، ولو كان إنســان حديــث عــهد بــإفتراش الأرض ، لكان إيلاما له ، ولكن الشّنفرى قــد ألــف هــذا الوضــع ولذلــك لا يجعل إفتراش الأرض مصــدرا للشــكوى ، وإنمــا الشــكوى فــى

البيت من أن عظامه وفقار ظهره البارزة من النحول والجوع ، ترفع جسمه عن الأرض ، وتحول بينه وبين الإستقرار في النوم ، وكل هذا لا يقلل من إيحاء لفظ (آلف) الذى يجعلنا نشعر بمدى ما يعانيه الشّنفرى حتى في نومه[١] .

٣ ــ استخدم الشاعر فى هذا النص كثيرا من الأساليب التى توضح الفكرة وتجليها ، فقد اعتمد الشاعر على الأساليب الخبرية التى تناسب الفخر بالأخلاق الكريمة ، وقوة تحمل الشاعر للمصائب والآلام ، ففى مطلع هذا النص فكرة آمن الشاعر بها ، وقدم لها مبرراتها وأقام الدليل على صحتها وسلامتها ، مؤداها ضرورة إرتحاله عنهم ، لأنهم ليسوا جديرين بأن يقيم بينهم متعرضا للأذى والهوان ، فإستخدام الأسلوب الإنشائى فى قوله : (أقيموا بنى أمى رحال مطيكم) ففيه الضيق والألم ونفاذ الصبر ، وهو كناية عن الإستعداد للرحيل ، ثم يجئ بالأسلوب الخبرى الذى يفيد التقرير فى قوله: (فإنى إلى قوم سواكم لأميل) ، وكل من الأسلوبين الخبرى والإنشائى يوحى بضيقه منهم ، وعدم إحتماله قربهم فليكن بينه وبينهم بُعْد المشرقين .

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، ص ٢١٠ وما بعدها .

واستخدم الأسلوب الخبرى مرة أخرى ليؤكد صحة ما يقول، حيث قدم الدليل القوى الذى أقامه على أحقيته فيما عزم عليه[١]، وهو الرحيل إلى ديار غير ديارهم ، وذلك فى قوله :

فقد حُمت الحاجات والليل مقمر وشُدت لطيات مطايا وأرحل
وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزل

ثم استخدم الأسلوب الخبرى الدّال على الفخر ، والمباهاة بالقناعة والعفة والتفضل بما عنده على الآخرين ، وذلك فى قوله : (مُدت الأيدى إلى الزاد) وقوله : (لم أكن بأعجلهم) ، وقوله : (أجشع القوم أعجل) ، وقوله : (وما ذاك إلا بسطة عن تفضل) ، وقوله : (وكان الأفضل المتفضل) وكل هذه الأساليب الخبرية توحى بقناعته وعفته وثقته بنفسه وقدرته على ضبطها.

كما استخدم الأساليب الخبرية الدالة على الفخر بقوة جلده وتحمله للجوع ، وشدة صبره على المكاره ، وأنه يملك نفسا حرة أبية تنأى به عن مواطن الذلّ والهوان ، وذلك فى قوله : (وأستف ترب الأرض) ثم يؤكدها بما لا يقبل الشك ، فيستخدم الأسلوب الخبرى فى نفس البيت ، فى قوله : (كى لا يرى له علىّ من الطوْل أمرؤ متطول) ، واستخدم الأساليب الخبرية

---

[١] انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية للدكتور / أحمد منصور نفادى ، صـ ١٠٥.

الدّالة على فخره بكل المعانى السابقة فى قوله : (ولولا إجتناب الذأم لم يلف مشرب) ، وقوله : (يُعاش به إلا لدىّ ومأكل) وقوله : (ولكن نفسا مُرة لا تقيم بى على الذأم) وقوله : (وأطوى على الخمص الحوايا) ، وقوله : (وأغدو على القوت الزهيد) وقوله : (وآلف وجه الأرض عند إنراشها) وقوله : (فإنى لمولى الصبر) ، وهذه الأساليب الخبرية توحى بصبره وتحمله الجوع وثقته بنفسه وتعويله عليها ، وأنه شجاع جلد قوى العزيمة ، وأنه فى النهاية يحافظ على كرامته من أن تمتهن ، وأن يكون رأسه عاليا فوق الناس جميعا .

واستخدم الشاعر أسلوب القسم فى قوله : (لعمرك ما فى الأرض ضيق على إمرئ) ليؤكد المعنى المراد ويقويه بأسلوب القسم ، كما استخدم الشاعر أسلوب القصر بالنفى والإستثناء فى قوله : (وما ذاك إلا بسطة) ، وقوله : (لم يلف مشرب يُعاش به إلا لدىّ ومأكل) ليزيد المعنى تأكيدا وقوة ، ومن المعروف أن القصر أشد المؤكدات على الإطلاق .

كما استخدم أسلوب الطباق فى قوله : (راغبا أو راهبا) حيث طابق بين راغب وراهب ليجمع بين المتضادتين ، وفيه توضيح للمعنى حيث إن الرحيل لا يعدو أن يكون لواحد من اثنين : الرغبة أو الرهبة ، وقوله : (تنام إذا ما نام يقظى

عيونها) حيث طابق بين تنام ويقظى ليجمع بين المتضادين ، وهذا يحدث جرسا موسيقيا ، وإيقاعا منغما فى الكلام .

كما استخدم الشاعر أسلوب (شبه كمال الاتصال) وذلك بين جملة (ولى دونكم أهلون) وبين جملة (سِيد عملس) حيث نُزلت الجملة الثانية من الأولى بمنزلة الجواب عن سؤال مقدر تقتضيه الجملة الأولى ، حيث يقول الشاعر : (ولى دونكم أهلون) كأنهم قالوا له : وَمَنْ هم ؟ فقال : (سِيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل) .

والباحث عن الأساليب التى استخدمها الشاعر يجد الكثير والكثير ، مما يدل على شاعرية الرجل ، وأخذه بناصية اللغة والبيان ، والفصاحة والبلاغة ولكننا أوجزنا الحديث فى هذه المسألة حتى لا نطيل .

٤ ــ استعان الشاعر بالصور الخيالية فى توضيح أفكاره وتجليتها للقارئ والسامع ، وأغلب هذه الصور (الكنايات) التى استخدمها الشاعر بحذق ومهارة تدل على شاعرية متمكنة فذة ، وذلك فى قوله : (أقيموا بنى أمى صدور مطيكم) كناية عن الإستعداد للرحيل ، وقوله : (فقد حُمت الحاجات) كناية عن اتضاح الأمور ، وأنه لا مفرّ من الرحيل ، وفى قول الشاعر : (وشُدت لطيات مطايا وأرحل) كناية عن أهبته الكاملة للرحيل

عنهم ، وفى قولـــه :

ولستُ بمهياف يعشــى سوامـــه مجدعـــة سقبانها وهـــى بُهّـــل

هذا البيت فيه كناية عن أنه ليـــس مـــن التافـــهين الذيـــن يعـــود الواحد منهم بماشيته وأولادهـــا جيـــاع ، ولا مـــن المـــهملين الذيـــن يتركون ماشيتهم فى المرعى دون إشـــراف عليـــها ورعايـــة لـــها[١] وفى قوله : (أديم مطال الجوع) كناية عن شـــدة صـــبره علـــى أذى الجوع ، وفى قوله : (وأستف تـــرب الأرض) كنايـــة عـــن تحملـــه الجوع ، ولو أنه يسفّ الـــتراب ســـفًا ، وفـــى قولـــه : (أزلّ تـــهاداه التنائف) كناية عن جوع الذئب ، وأزلّ صفـــة للذئـــب القليـــل اللحـــم فى فخذيه وعجزه ، وفـــى قولـــه : (وشـــمّر منـــى فـــارط متمـــهل) كناية عن النشاط فى العدْو على مـــهل ، ومـــع ذلـــك ســـبق القطـــا وفـــى قولـــه : (وآلـــف وجـــه الأرض عنـــد إفتراشـــها) فـــافتراش الأرض كناية عن الخشـــونة وقـــوة التحمـــل ، وقولـــه : (سناســـن قحّل) كناية عن فقار الظهر المعروفـــة بـــالعمود الفقـــرى ، وإســـناد السناسن إلى صفة القحّل فيها مجاز مرسل علاقتـــه الســـببية وعلـــى ذلك فإن (سناسن قحّل) كناية عن فقـــار الظـــهر الجافـــة اليابســـة ، وفى قوله : (وأعدل منحوضا) كناية عـــن التوســـد بـــالذراع القـــوى الذى ذهب لحمها ، وفى قوله : (أم قســـطل) كنايـــة عـــن الحـــرب ،

---

(١) انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـــ ١٢٥ .

لأنها تثير الغبار المتصاعد فى سماء المعركة ، وفى قوله :

تنام إذا ما نام يقظى عيونها جثاثاً إلى مكروهه تتغلغل

البيت كله فيه كناية عن تربص أعدائه به ، وتلهفهم إلى الإيقاع به ، وفى قوله : (يصطلى القوس ربها) كناية عن شدة البرد القارس ، مما يحمل أن يصطلى بالقوس صاحبها ، ويعرض نفسه للهلاك ، إذا ما فاجأه العدو ، ومن المعروف أن الكناية تحمل المعنى ودليله ، كما وضح لنا ذلك ، من خلال عرضنا لأشعار الشّنفرى الأزدى ، ويوجد فى هذه الأبيات (استعارات مكنية) ففى قول الشاعر : (وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى) شبه الأذى بحفرة أو نار محرقة لابد من البعد عنها ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه ، على سبيل الإستعارة المكنية،وفى قول الشاعر : (الجوع حتى أميته) شبه الجوع بإنسان لابد من القضاء عليه ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية،وفى قول الشاعر : (فإن تبتئس بالشّنفرى أم قسطل) شبه الإبتئاس بإمرأة حزينة مبتئسة ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه ، على سبيل الإستعارة المكنية ، وكذلك فى قوله : (اغتبطت بالشّنفرى) حيث شبه الفرح بإمرأة مغتبطة فرحة ، ففيها إستعارة مكنية أيضا ، وفى هاتين الكنايتين إيحاء بطول معايشة الشنفرى للحروب ، وقوة تمرسه

بالقتال ، وفى قول الشاعر : (طريد جنايات) شبه الجنايات بإنسان يطرد إنسانا ، ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية ، وهذه الإستعارات ، فيها تشبيه المعنوى بالمحسوس ، حتى يستقر فى الذهن ويرسخ فى الوجدان ، واستخدم الشاعر بعض التشبيهات ففى قوله :

وأطوى على الخمص الحوايا كما أنطوت خيوطة مارى تُغار وتُفتل

تشبيه فقد شبه أمعاءه فى خلوها من الطعام وتعودها الجوع حتى يبست ، وصارت صلبة يلتف بعضها حول بعض كأنها الحبال الشديدة الفتل .

وفى قول الشاعر :

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلّ تهداه التنائف أطحل

تشبيه مركب فقد شبه فيه نفسه وهيئته وقد أصبح جائعا هزيلا يضرب فى الصحراء القاحلة ، بهيئة ذئب جائع هزيل يبحث عن قوته فى كل مكان فلا يجده بجامع الضيق والحيرة والهزال فى كلٍ[1] .

وفى قول الشاعر :

وأعدل منحوضاً كأن فصوصه كِعاب دحاها لاعب فهى مُثّل

تشبيه فقد شبه حاله فى النوم حيث لا يستقر على حال أبدا ، فبينما ينام على ظهره ، ينقلب على جنبه ، فيثنى ذراعه ،

---

[1] انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـ ١٠٥ وما بعدها .

ليجعله وسادة تحت رأسه ، فإذا هو يابس جاف ، كأنه أنابيب قصبة يابسة ، قطعت إلى كعوب ، هى ما بين مفاصل الذراع ، فلا يستقر ولا يستريح أبدا[١] .

٥ ــ لقد مرّ الشاعر بعاطفة قوية مشبوبة فى هذا النص ، فهذه الدرة الشعرية الفريدة التى تثير الإعجاب ، وتبهر الأذواق الأدبية ، لابدّ من ورائها عاطفة صادقة ، وانفعال قوى وإحساس مرهف ، وتجربة شعورية إنسانية ، ونحن نحسّ من خلال النص الذى معنا بحرارة العاطفة ، وصدق المشاعر ، ونبض الأحاسيس ، واستطاع الشاعر أن ينقل مشاعره وأحاسيسه ووجدانه فى قوة وصدق ، وأن يعلن على الملأ : أن الناس إنما يُقدرون بأفعالهم الحميدة وشيمهم الرفيعة وأخلاقهم الفاضلة وشجاعتهم فى ميدان القتال ، والشّنفرى يتمثل فيه هذه الصفات الكريمة ، ويملك قدرا كبيرا منها .

وما ظنك برجل شجاع فاتك يملك هذه الصفات ، فرضت عليه الظروف القهرية أن يعيش مع الذئاب والنمور والضباع ! فرضت عليه أن يعيش حياة الصعاليك ، فرضت عليه أن يعيش بعيدا عن الناس ، بعد أن كره المقام بينهم ، فرضت عليه أن

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١٣٠ وما بعدها .

يحيا بعيدا عنهم بعد أن ذاق الذلّ والـــهوان ، وأن يحتفـظ بكرامتـه وأنفته وكبريائه وعزته ، وأن يكون بينهم وبينـه بُعْـد المشـرقين .

إنها نفثة حـــارة ، وألـم متدفـق ، وإحســاس بـالظلم ، صبّـه الشاعر شعرا يصدر عن قلب جريـــح مكلـوم ، والشـاعر مطـارد من الناس ، لكنه يعتز بنفسه ، ويحـــرص علـى كرامتـه وكبريائـه وأنفته وإبائه ، وينـــأى عـن الدنايـا والعيـوب ، ويكـرم نفســه ، ويضعها فى مكانها الصحيح ، ومع ذلك يعـــانى فـى حياتـه آلامـا ومصاعب لا حصر لها مـــن المطـاردة والجـوع القـاتل والظمـأ الشديد ، والبرد القارس ، والحـــرّ اللافـح ، يفـترش الأرض فـى الصحراء القاحلة ، ويلتحـــف السـماء ، ليـس عليـه ثيـاب تقيـه قشعريرة البرد أو لسعة الحـرّ ، وفـوق هـذا فـهو مطـارد لأنـه يعيش على السلب والنهب ويحمل الثارات التـى عليـه ، ومـن ثَـمّ فقد انفعل الشاعر بكـــل هـذا ، وصاغـه شـعرا مليئـا بالعاطفـة الصادقـة ، والوجـدان المفعـم بـالآلام ، والمشـاعر الفياضـــة والأحاســيس النابضـــة ، بالمعـــانى الإنســـانية ، والأفكـــار الجليلة الســامية .

٦ ــ من خلال دراستنا لهذا النص يمكـــن أن نقـول : كـان شـعر الشّنفرى ممتازا متفوقا على شعر الصعاليك ، بـــل أهـم مـا يمـيز شعر الشّنفرى ، أنه كان متفوقا على غـيره مـن الشـعراء ، وهـذا

الأمر يبدو واضحا فى ناحيتين :

إحداهما : دقة الحسّ بصورة تثير العجب ، حيث نجد الشّنفرى كثيرا ما يركز إنتباهه وحواسه ليلتقط شيئا قلما يأبه له غيره من الشعراء بالوقوف عنده ، أو الاهتمام بوصفه والحديث عنه ، وكثيرا ما اهتم الشّنفرى بمثل هذه الأشياء التى قد يراها غيره تافهة أو يسيرة الشأن ، أو ليس فيها مادة شعرية تدعو إلى الوصف والتعبير ، فنراه مثلا فى (لامية العرب) يقف بشاعريته عند سرب من النحل ، ويصفه فى إبداع وإتقان ، ويرسم صورة كاملة للسرب على الرغم من إيجازها لحياة هذا السرب ، ونجد دقة حسّ الشّنفرى فى مواضع كثيرة منها : وصف الذئاب حين يقسو عليها الجوع ، وكيف أن الذئب خرج يبحث عن طعامه ، وبعد أن أعياه البحث والجهد وقسا عليه الجوع ، عوى مستعينا ومستغيثا بفصيلته من الذئاب فأجابته ذئاب جائعة ، ونراه يصف نحول أجسادها ، ولون وجهها الذى يشبه الشيب ، ومقدمة هذه الوجوه التى تشبه السهام وهكذا .

وكان الشاعر مفتونا بالقوس أشد الفتنة ، فقد بلغ من إفتتانه بقوسه أن رصد كل حركاتها ، وتابع بحاسته الدقيقة حتى صوتها ، ونراه يبين أوصافها المتعددة : فى شكلها وتركيبها

وأجزائها ، والمادة التى صُنعت منها ، ونحـــو ذلـــك .

وهكذا نجد هذه الدقة المتناهية واضحة فـــى شـــعره ، وبخاصـــة فى لامية العـــرب .

والأخرى : تركيزه على العمـــق النفســـى ، بمعنـــى أن المتـــأمل فى شعر الشّنفرى ، يلحظ أنه لا يكتفى بمجـــرد الوصـــف أو إبـــراز الموقف ، أو تحديد صفـــات ظـــاهرة ، وإنمـــا يحـــاول بتركـــيز أن يبرز للسامع نفسية الذى يدور حوله الحديـــث ، محـــاولا أن يتعمـــق فى هذه النفسية ، وأن يستشف ما بـــها ، فـــهو حيـــن يتحـــدث عـــن نفسه مثلا يهتم بأن يبرز ما تنطـــوى عليـــه نفســـه فـــى كـــل حـــال يتعرض للحديث عنه ، وقد تحدث عـــن ســـائر أحوالـــه ، وتحـــدث عن صلته بالناس حيـــن يرضـــى وحيـــن يســـخط ، وتحـــدث عـــن حياته المعيشية ، وتقلبه بين أحوال وملابســـات عديـــدة ، وفـــى كـــل هذا لا يكتفى بوصف حاله أو حال ما يحيـــط بـــه ، بـــل نـــرى مـــا تختلج به نفسه ، وما يصطرع فيها حيـــن يكـــون هنـــاك صـــراع ، فيتحدث عما يراود نفسه من قلق ووســـاوس أو توجـــس وانفعـــال ، وما يعانيه من صراع نفسىّ رهيب بيـــن ألـــوان شـــتى مـــن جـــوع وهموم ومخـــاوف[١] .

---

[١] انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـــ ٦٧ وما بعدها .

تعليق عام على النص :

١ ــ هذا النص يعد من عيون الشعر العربي ، وفريدة من فرائده ، ولهذا أطلقوا عليه (لامية العرب) وفيه سجل لبيئة الصحراء في الجاهلية ، ونظام حياتها ومناخها في الصيف والشتاء ، وتقاليد فئة الصعاليك فيها .

ونلاحظ أنها تحتوى ألفاظا غريبة ، وذلك لطول العهد بيننا وبينهم ، فربما تحتاج إلى الكشف عن مفرداتها في معاجم اللغة، أما في العصر الجاهلي فقد كانت هذه القصيدة وأمثالها عادية جدا ، لأن العربية الفصحى كانت لغتهم التي شبوا ونشأوا عليها ومن خلال قراءتنا لقصيدة (لامية العرب) نخرج بنتيجتين إثنتين:

إحداهما : هذه القصيدة إنعكاس كامل لحياة الصعلكة والفتوة في الجزيرة العربية في الجاهلية ، حيث تغنى الشاعر بالشجاعة والبطولة والجلد والصبر في مقاومة الشدائد وما تفرضه طبيعة البيئة الصحراوية القاحلة الجافة من متاعب الجوع والعطش والحر الشديد والبرد القارس ، ومتاعب النوم والمطاردة الدائمة للصعاليك ، واعتماد الشاعر الصعلوك على نفسه في مواجهة أعدائه ، الذين أوقع بهم ، أو قضى على بعض منهم ،

واستغناء الشاعر فى هذا المجال بإخوانه فى الفتوة والصعلكة عن أهله الآخرين .

والأخرى : أن هذه القصيدة نظمت بلغة قريش ، شأنها فى ذلك شأن المعلقات التى علقت فى جوف الكعبة المشرفة ، على الرغم من أن الشنفرى من قبيلة (أزد شنوءة) التى تختلف لهجة أبنائها عن لهجة القريشيين ، مما يدل على سيادة لغة قريش ، وأن الشنفرى نظمها بهذه اللغة ، ليضمن لها الذيوع والإنتشار[1] .

٢ ــ أحيانا نرى فى شعر الشنفرى بعض المبالغات الشعرية ، فهو يبرز صورا من المعاناة فوق ما يحتمله البشر ، وفوق ما يتصوره الناس ، وعلى الرغم من تصويره للمعاناة يفوق ما يتوقعه أى تصور ، إلا أنه يمتاز فى مبالغته بأمرين بالغى الدقة:

إحداهما : إعتماده على الحجة والمنطق العقلى ، حيث يعرض ما يبدو بالغ الإغراق فى المبالغة ، أو الوهم ، ولكنه يردفه بالدليل والحجة والبرهان ، فيذهب عنه الغرابة ، ويجعله إن لم يكن واقعيا ، فعلى الأقل ليس غريبا على العقول التى تفكر ،

---

[1] انظر : باقات من رياض الأدب العربى فى الجاهلية ، صـ ١٠٨ وما بعدها .

كما إدعى أن الوحوش الضارية ، هي التي تستحق أن تسمى أهلا دون الناس ، ويستحق أن يعاشرها ويتخذها سكنا له ، ولكنه يقيم الدليل على صحة ما يقول ، ويتم له إلغاء الغرابة من هذه الدعوى ، ومن ذلك أن الوحوش لا تذيع بينها سرا ولا يخذل بعضها بعضا كما يفعل الناس .

وثانيهما : إعتماد الشنفرى على واقعية التصوير ، فإنه كثيرا ما يعرض صورا لذلك تبدو وكأنها وهم يشبه المستحيل ، ولكن إعتماد الصورة على الواقعية يذهب عنها كل غرابة ، وذلك كإدعائه إنه حينما يعدو ويسرع في الجري يحدث حول قدميه أمران عجيبان :

أحدهما : أن يتطاير شرر النار من حولهما .

والآخر : أن تتفتت الحجارة الصلبة من حولهما وتتناثر في كل مكان ، وهي صورة تبدو في ظاهرها مغرقة المبالغة ، ولكننا لو تأملنا الواقع لوجدنا الصورة عادية واقعية فإن سرعة العدو والجري ، تدفع الحجارة الصغيرة أمامه ، فيصطدم بعضها ببعض ، فيحدث شرر النار وتفتت الحجارة ، وقد صور القرآن الكريم وهو في قمة البلاغة والفصاحة ، هذه الصورة عن الخيل ، فقال عز من قائل : ﴿والعاديات ضبحا فالموريات

قدحا)[١] والشنفرى كان باتفاق العلماء والروايات أسرع من الخيل ، فلا غرابة أن يحدث حول قدميه فى العدو أشد مما يحدث حول أرجل الخيل ، لأن الأرجل ليست هى التى تحدث هذه الآثار ، وإنما يحدثها تدافع الحجارة واصطدام بعضها مع بعض[٢] ، وهكذا جعل الشنفرى مبالغاته الشعرية أقرب إلى القبول باعتماده على الحجة والمنطق ، وإعتماده على الواقعية فى التصوير والتعبير .

"والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله"
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

أ.د / على محمد طلب
أستاذ الأدب والنقد
وعميد كلية اللغة العربية - أسيوط

---

(١) سورة العاديات ، الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) انظر : الشنفرى الصعلوك ، صـ ١٦٦ .